(١)

جبر الخاطر وأثره على الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، ويقول سبحانه: { قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فقد جاء الإسلام برسالة جامعة للقيم الفاضلة والمُثُل العليا، ومن تلك القيم الفاضلة قيمة جبر الخاطر، فهي قيمة تنبئ عن شرف النفس، ورقة القلب، وقد أعلى الله (عز وجل) من شأن هذه القيمة النبيلة، فجعلها صفة من صفاته، تتعلق باسمه تعالى "الجبار"، حيث يقول سبحانه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ}، يجبر الفقر بالغنى، والمرض بالصّحة، والخوف والحزن بالطمأنينة، ومن دلالات الاسم كما ذكر القرطبي (رحمه الله): المبالغة في الجبر، فهو من جَبَر إذا أصلح الكسير وأغنى الفقير، وكان من دعاء نبينا (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي).

كما تجلى الله (عز وجل) على عباده، فجبر خواطرهم، وطيَّب نفوسهم، فهذه أم سيدنا موسى (عليه السلام) حين تفطَّر قلبها على ولدها (عليه السلام) خوفًا عليه، ردَّه الله (عز وجل) إليها؛ جبرًا لخاطرها، حيث يقول سبحانه: { فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}، ولما أُخرج نبينا (صلى الله عليه وسلم) من وطنه مكة جبر الله تعالى خاطره، وأوحى إليه في طريقه إلى المدينة قوله (عز وجل): {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}، أي: إلى مكة مرة أخرى.

ويتجلى خلق جبر الخاطر في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) حينما عاد إلى زوجه السيدة خديجة (رضي الله عنها)، وقد ظن أن شرًّا أحاط به، فقالت له تطييبًا لنفسه وجبرًا لخاطره (صلى الله عليه وسلم): كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا! إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، وحين لقي نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) جابرَ بن عبد الله (رضي الله عنه) منكسرًا لاستشهاد أبيه عبد الله (رضي الله عنه) وتركه عيالًا ودَيْنًا، جبر (صلى الله عليه وسلم) خاطر جابر (رضي الله عنه)، وقال له: (أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟ ... مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا (أي: من غير حجاب)، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِينِي، فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ (عز وجل): إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ).

ويضرب لنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة في جبر الخواطر، حينما جاءه فقراء المهاجرين وقالوا له: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفُضول أموالهم، فقال لهم (صلى الله عليه وسلم): (أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ...).

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت بجبر خواطر الناس جميعًا، لا سيما الضعفاء منهم، حيث يقول تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} أي: طيِّب خاطرهما، وأحسن إليهما، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا- وأشار بالسبابة والوسطى)، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ)، وحين سُئِلَ (صلى الله عليه

وسلم): أيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (أَنْ تُدْخِلَ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ سُرُورًا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْزًا)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ).

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن جبر الخاطر قيمة أخلاقية تمتد لتشمل التكافل بين المجتمع كله، فالإسلام لا يَعْرِف الأنانية أو السلبية، وإنما يعرف الإخاء الصادق، ومراعاة مشاعر الناس، وجبر خواطرهم، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ).

على أننا نؤكد أن جبر الخاطر كما يكون بالفعل، فقد يكون بكلمة حسنة، أو بدعاء صادق، أو بنصيحة خالصة، أو بابتسامة طيبة،حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ)، أي: مبتسم مستبشر، كما نؤكد أن جبر الخاطر له تأثير عظيم في تأليف القلوب، ووحدة الصف، وترابط المجتمع.

اللهم ارزقنا فعل الخيرات وجبر الخواطر